منهج التنميط فى الدراسات القرآنية
دراسة نقدية

د. عماد حسن مرزوق

كلية الآداب – جامعة المنوفية

نشأ منهج التنميط Typology ابتداء فى كنف الكتاب المقدس باعتباره أحد مناهج التفسير، وقد تمت الاستفادة منه – فيما بعد– فى مجالات العلوم الإنسانية المختلفة كعلم الاجتماع وعلم النفس والنقد الأدبى.

وبالرغم من الاختلافات الجوهرية بين طبيعة الكتاب المقدس والقرآن الكريم، فقد استخدم منهج التنميط فى بعض الدراسات القرآنية.

ويهدف البحث إلى عرض منهج التنميط أو (التيبولوجيا) ومناقشة تطبيقاته فى الدراسات القرآنية، وذلك من خلال أربعة مباحث :

المبحث الأول – نشأة منهج التنميط وتطوره .

المبحث الثانى – تطبيقات منهج التنميط فى الدراسات القرآنية .

المبحث الثالث – الملاحظات النقدية على الدراسات التنميطية للقرآن الكريم .

المبحث الرابع – (السياقات المتشابهة) بديلا عن منهج التنميط.

(1)

مـن بـين منـاهج تفسـير الكتـاب المقدس كالتفسـير الرمـزى أو التـأويلى المنسـوب إلـى مدرسـة الإسـكندرية، والتفسـير الحرفـى التـاريخى المنسـوب إلـى مدرسـة أنطاكيـة، يبـرز مـنهج التنمـيط Typology[1] واحدا من أهم المناهج الرئيسية فى التفسير[2].

ترجع الجذور الأولـى لمنهج التنميط فـى التفسير إلـى بعض الإشـارات التـى وردت فـى رسـائل بـولس الرسـول (تـوفى حـوالى 67م)، حيث جعل مـن بعـض شخصـيات العهد القديم وأحداثـه نموذجا أو مثالا لشخصية المسيح عليه السلام، فآدم عليه السلام قبل الوقوع فى الخطيـة فـى العهد القديم هو نمط أو طراز للمسيح عليه السلام ، يقول بولس فى رسالته إلى أهل رومية "لكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ، الَّذِي هُوَ مِثَالُ الآتِي"[3].

ويفسر بولس عمود السحاب الذى أظل بنى إسرائيل فى الخروج، والذى ورد فى هذا النص من العهد القديم : " وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلا لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ."[4] ، يفسر بـولس عمـود السحاب بأنـه – المسيح عليه السلام – ، يقول بـولس فـى رسالته الأولـى إلـى أهل كورنثوس : " فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعَهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ، وَجَمِيعَهُمُ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمُ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ، لكِنْ بِأَكْثَرِهِمْ لَمْ يُسَرَّ اللهُ، لأَنَّهُمْ طُرِحُوا فِي الْقَفْرِ، وَهذِهِ الأُمُورُ حَدَثَتْ مِثَالاً لَنَا، حَتَّى لاَ نَكُونَ نَحْنُ مُشْتَهِينَ شُرُورًا كَمَا اشْتَهَى أُولئِكَ"[5] ، فبولس يجعل عمود سحاب الخروج، والبحر مثـالا للمعموديـة المسيحية حيث يلتقـى عنصرا المعمودية : الروح القدس متمثلا فى عمود السحاب بالماء متمثلا فى البحر.

وفى النص السابق من رسالة بولس تنميط آخر فسر به بولس صخرة حوريب التى جاء ذكرها فى هذا النص من العهد القديم : " هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ

---

1 - تتكون كلمة Typology من مقطعين يقصد بالأول منهمـا الـنمط أو النمـوذج أو المثـال، والثـانى يقصد بـه العلم .

2 - للاستزادة حول مناهج تفسير الكتاب المقدس انظر : تفسير الكتاب المقدس فى أبعاده المتعددة :غرانـت ر. أوزبورن ، ترجمة نزيه خاطر ، دار منهل الحياة، لبنان، ط1، 2104م .

3 - رسالة رومية 5 : 14

4 - سفر الخروج 13 : 20-21

5 -رسالة كورنثوس الأولى 10: 1-6

الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ فَفَعَلَ مُوسَى هكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ"[1]، فالصخرة عند بولس كما جاء فى رسالته السابقة هى المسيح – عليه السلام – .

إن منهج بولس فى تفسير ما ورد فى العهد القديم واستخدامه فى رسالتيه إلى أهل رومية وأهل كورنثوس كلمة (المثال) كان حجر الأساس لما عرف بالتفسير النمطى (المثالى) أو منهج التنميط فى التفسير Typology.

و" السمة الجوهرية فى هذا التفسير هو Christocentric أى أن المسيح هو مركز كل شىء، فآدم ونوح وموسى هم مجرد أمثلة أو نماذج لآدم الثانى ونوح الجديد وموسى الجديد أى المسيح"[2].

أصبح منهج التنميط منهجا مؤثرا فى حقول المعرفة المختلفة، وقد أقر مؤسس علم النفس التحليلى كارل جوستاف يونج Carl Jung (ت 1961م) أن نظريته عن الطرز الأولية (النماذج البدئية) Archetype ليست من اختراعه بل كان مسبوقا إليها منذ القرون المسيحية الأولى[3]، ولا شك أن يونج كان يشير بذلك إلى تنميط بولس ومن تبعه من شراح الكتاب المقدس.

وبناء على ذلك المنهج فقد ذهب يونج إلى أن " ارتباطات الرمزية الحديثة بالنظريات والاعتقادات القديمة لا يقوم على الرواية العادية أو النقل المباشر وغير المباشر، ولا حتى على المسارة كما يفترض غالبا. لم يسفر البحث الدقيق عن احتمال اطلاع المرضى على كتب أو حصولهم على معلومات لها علاقة بهذه الأفكار . وإنما يبدو أن خافيتهم قد عملت على نفس الخط الفكرى الذى ظل يكشف عن نفسه بين حين وآخر ، فى الألفين من السنين الماضية. لا يمكن أن توجد مثل هذه الاستمرارية إلا أن نفترض حالة معينة من الخافية تنتقل بالوراثة البيولوجية . طبعا لا أريد بهذا الافتراض وراثة الصور بما هى كذلك، التى من الصعب بل من المستحيل البرهان عليها. وإنما أتخيل أن الصفة الموروثة لابد أن تكون شيئا من قبيل إمكانية إعادة توليد نفس الأفكار، أو أفكار مماثلة على الأقل، وقد سميت هذه الإمكانية نموذجا بدئيا Archetype ، وأريد بذلك سابق استعداد عقلى وخصيصة وظيفية فى الدماغ"[4].

وعلى ضوء هذه النظرية رأى يونج أن رمز الصليب المربع هو إعادة إنتاج لرمز الدائرة السحرية المعروفة بالمندلة التى كانت تعبر عن معتقدات خاصة ببعض الديانات الشرقية القديمة، وبالرغم

---

1 - سفر الخروج 17: 6

[2] - تفسير الكتاب المقدس عند الآباء : د. جورج عوض إبراهيم، جى سى سنتر ، القاهرة ، ط1، 2012م ، ص 65

[3] - الدين فى ضوء علم النفس : كارل جوستاف يونج ، ترجمة وتقديم ، نهاد خياطة ، دار العلم ، مكتب الفيحاء ، دمشق ، ط1 ، 1988م، ص 66

[4] - السابق ص 110 -111

من أن المندلة لم تعد ذات أثر دينى فى العصر الحديث فإن اللاشعور الجمعى وماله من قدرة على متابعة إنتاج النماذج البدئية قد استعادها مرة أخرى فى صورة الصليب[1].

ولقد كان لنظرية النماذج البدئية تأثير واسع على كثير من الأبحاث والدراسات فى مجالات متعددة، ويذكر نورثروب فراى Northrop Frye (ت 1991م) أنه لاحظ فى المجال الأدبى "ثبات وحداته البنيوية أى كون بعض الموضوعات أو المواقف أو أنماط الشخصية فى الكوميديا تمثيلا تستمر فى البقاء مع تغير طفيف جدا منذ عصر أرسطوفانيس حتى عصرنا الحاضر، وقد استخدمت لوصف هذه القواطع البنائية مصطلح النموذج البدئى archetype حين كنت أفكر بمعناه التقليدى دون أن أنتبه كيف أن استعمال يونغ لهذا المصطلح نفسه قد احتكر الميدان تماما"[2].

وقد أراد فراى أن يغير من المعنى التقليدى لمفهوم يونج عن النماذج البدئية من خلال هذا التفسير الجديد الذى قدمه عن التنميط فى الكتاب المقدس يقول فراى " هناك بالإضافة إلى اللسان (langue) الذى يميز الفرنسية عن الإنجليزية والألمانية نظاما لغويا (langage) يجعل بالإمكان التعبير عن أشياء متشابهة فى اللغات الثلاث جميعا. ويصح هذا حتى على الشعر أو الدراما. حين ندخل مسرحا صينيا أو يابانيا نعى فورا حتى حين نكون عديمى المعرفة باللغة أن ما يقدم هو تجربة درامية تشبه شبها ملحوظا ما نحن على ألفة به . وإذا أخذنا الخطوة التالية وتعلمنا شيئا عن اللغة ، سنكتشف أن هناك حسا مشتركا يمكن ترجمته إلى حد ما، على الرغم من الاختلاف فى الدلالة اللغوية والثقافية، ولسنا بحاجة إلى أن نلتمس كيانات أكثر لطافة مثل مفهوم يونغ عن اللاشعور الجمعى لكى نفسر حقيقة أن التعبير الإبداعى الإنسانى فى جميع أرجاء العالم ينطوى على درجة من الفهم المتبادل والقوة التوصيلية"[3].

تتشابه إذن فكرة التنميط التى قدمها فراى إلى حد كبير مع ما قدمه يونج مع شيء من الاختلاف فى تفسير منبع التنميط ففى حين ذهب يونج إلى إلى تفسير التنميط من خلال نظرية اللاشعور الجمعى المستمد من النماذج البدئية يذهب فراى فى تفسير التنميط إلى تأثير النظام اللغوى، حيث اعتمد على نظرية فيكو Vico (ت 1744م) التى تذهب إلى أن دورة التاريخ تشتمل على ثلاثة عصور هى العصر الأسطورى أو عصر الآلهة ، والعصر البطولى أو عصر الأرستقراطية، وعصر العامة. ويتلاءم النظام اللغوى مع كل عصر بطريقة خاصة فنجد فى

[1] ـ انظر المحاضرة الثالثة من كتاب الدين فى ضوء علم النفس ليونج بعنوان : (رمز طبيعى : تاريخ وسيكولوجية) ، مرجع سابق ، ص 80 وما بعدها .

[2] ـ المدونة الكبرى الكتاب المقدس والأدب : نورثروب فراى ، ترجمة سعيد الغانمى ،كلمة و منشورات الجمل ، أبو ظبى و بيروت، ط1، 2009م ص 105

[3] ـ السابق ص 41 ، 42

العصر الأول يصبح النظام اللغوى قائما على الاستعارة، وفى العصر الثانى نجد النظام اللغوى يتحول إلى الكناية، بينما نجد فى العصر الثالث نظاما لغويا وصفيا[1].

وقد رأى فراى أن الكتاب المقدس تم تدوينه فى ظل النظام اللغوى الاستعارى ، وبما أن الاستعارة تجعل من المثل typos والممثول antitype شيئا واحدا، فقد أدى ذلك إلى وجود تنميط بين العهد القديم والعهد الجديد بحيث أصبح العهد القديم كالمرآة للعهد الجديد.

"وقد تطرق الكتاب المقدس بطبيعة الحال لبعض الوقائع التاريخية، لكنه لم يتناولها كأحداث تاريخية، بل كحكايات وممثولات لمثل نمطية سابقة، ففى ضوء نظريته للتطابق الاستعارى بين المثل والممثول، كان بوسع (نبوخذ نصر) أن ينوب عن (التنين)، وبوسع بابل أن تنوب عن روما (أم الزوانى)، وهكذا ما كان ينظر إلى الواقعة التاريخية كواقعة مستقلة فى ذاتها ضمن سياقها التاريخى التوثيقى، بل كان ينظر إليها باعتبارها تكرارا لمثل سابق يتماهى بالممثول ويتطابق معه، غير أن هذا التناول نفسه يجعل من الكتاب المقدس مصدرا تاريخيا ضعيفا بالمعنى الحديث لكلمة التاريخ"[2].

وهكذا فإن منهج التنميط ارتبط ارتباطا مباشرا بالكتاب المقدس سواء من حيث نشأته أو من حيث الدراسات المختلفة التى عملت على تطويره كما رأينا عند يونج وفراى، لهذا لم يكن مستبعدا أن تقوم محاولات جديدة تعتمد على إعمال منهج التنميط فى دراسة القرآن الكريم، بشكل مواز لما تم إنجازه فى تفسير الكتاب المقدس.

---

[1] - **السابق ص 42 وما بعدها**

[2] - **السابق ص 9**

(2)

كان على شريعتى (ت 1977م) من أوائل الباحثين المحدثين الذين دعوا إلى استخدام منهج التنميط، لكن استخدامه للمنهج لم يكن فى تفسير القرآن أو ما يخص الدراسات القرآنية بل فى التعرف على الإسلام نفسه يقول شريعتى "هناك منهج آخر لمعرفة الإسلام . هذا المنهج هو العلم عن طريق تصنيف القضايا والمقارنة بينها، وهو ما يعرف فى علم الاجتماع (التيبولوجى) (Typology) وفى سبيل معرفة الإسلام، تمكنت أنا أن أستفيد من هذا المنهج ، الذى يستخدم عادة فى أوروبا، للتحقيق فى بعض العلوم الإنسانية، واستخرجت منهجا يمكن الاعتماد عليه فى معرفة أى دين"[1] ويقوم منهج شريعتى فى التعرف على الدين على جوانب خمسة يجب التعرف عليها فى الدين ومقارنتها بمثيلاتها فى الأديان الأخرى ، وهذه الجوانب هى :

أ- الإله أو الآلهة فى كل دين

ب- نبى كل دين

ج- كتاب كل دين

د- كيف ظهر نبى كل دين

هـ-تلامذة كل دين وحواريوه

ولقد لاحظ محمد بو هلال أن منهج التنميط قد استخدم فى التراث الإسلامى المرتبط بالدراسات القرآنية من خلال كتاب جواهر القرآن للغزالى (ت 1111م)[2]، وإذا سلمنا أن الغزالى قد استخدم منهج التنميط فى كتابه فإن هذا التنميط قد اقتصر على تصنيف آيات القرآن الكريم وتقسيمها إلى أنماط مختلفة بحسب موضوعها، وهى الآيات التى تتناول ذكر الذات، وذكر الصفات، وذكر الأفعال، وذكر المعاد، وذكر الصراط المستقيم أى التزكية والتحلية، وذكر أحوال الأولياء، وذكر أحوال الأعداء، وذكر محاجة الكفار[3]، وذكر حدود الأحكام، ولم يتطرق تصنيف الغزالى إلى استخدام التنميط بالصورة التى رأيناها عند بولس أو يونج أو فراى أو التى سنراها فيما سنعرضه من الدراسات التنميطية المتعلقة بالقرآن الكريم.

ويعد محمد أحمد خلف الله (ت 1989م) أول من طبق من خلال كتابه (الفن القصصى فى القرآن)4 منهج التنميط على القرآن الكريم بالمعنى المفهوم لتطبيق المنهج فى التفسير الكتابى.

---

[1] - منهج التعرف على الإسلام : د. على شريعتى ، ترجمة عادل كاظم ، دار الأمير ، بيروت ، ط1 ، 2006م ، ص 17

[2] - انظر على سبيل المثال بحث : تيبولوجيا القرآن من خلال جواهر القرآن للغزالى : محمد بو هلال، بحث ألقى فى ملتقى الدراسات القرآنية المناهج والسياقات والرهانات، المنعقد فى المجمع التونسى للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) فى الفترة من 4إلى 6 يوليه 2107م .

[3] - انظر : جواهر القرآن ودرره، محمد بن محمد الغزالى ،تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ، دار الجيل ، بيروت ، ط6، 1408هـ / 1988م ، ص 17

[4] - الفن القصصى فى القرآن : د . محمد أحمد خلف الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2، 1957.

يقول يوهانس جانسن J.J.G.Jansen : "على الرغم من وجود عدد كبير من الدراسات التى تناولت كتاب خلف الله (الفن القصصى) لم تنتبه هذه الدراسات ، كما يبدو لى إلى أن خلف الله قد استخدم فى كتابه منهجية تفسيرية تدعى المنهج الطيبولوجى typology "[1].

وقد استطاع الدكتور محمد أحمد خلف الله باعتماده على منهج التفسير التيبولوجى أن يرى فى صور هود وشعيب ومحاورتهم لأقوامهم الصورة العامة التى تصلح لكل رسول "وهى تصلح للنبى العربى عليه السلام"[2]، كما ذهب إلى أننا "نستطيع أن نقول إن شخصيات الرجال فى القصص القرآنى تتميز بالأحداث التاريخية المعروفة ولا تتميز بالصفات الحسية أو الصفات المعنوية من خلق ومزاج، وإننا لو حاولنا فهم ما يعرض لكل منهم من انفعالات نفسية وتأثرات عاطفية فلابد لنا من فهم الظروف المحيطة بالنبى العربى، والعوامل المؤثرة فى الدعوة الإسلامية، إذ هى التى تفصح لنا عن المواقف التى توضح لنا شخصية البطل وتجلى صورته، وهذا هو الذى يتمشى مع القصد العام لهذا اللون من القصص، وهو التنفيس وتخفيف الضغط العاطفى، وإنه ليتحقق كل هذا لابد وأن تتشابه المواقف وتتماثل الظروف"[3].

و قد ذهب خلف الله اعتمادا على منهجه إلى القول بمخالفة القرآن للتاريخ – وهى النتيجة نفسها التى انتهى إليها فراى فيما يخص الكتاب المقدس– ، اعتمادا على أن القرآن لا يعرض تاريخا وإنما يعرض القصة بمفهومها الفنى الذى يتيح بعض التغيير فى الأحداث التاريخية من أجل تحقيق الغاية من القصة وهذه الغاية فى القرآن الكريم هى الموعظة والعبرة. وقد انتهى إلى أن "القصة التاريخية فى القرآن قصة أدبية يقصد منها غير ما يقصد من التاريخ، وتعرض غير ما يعرض التاريخ، وتثبت غير ما يثبت التاريخ"[4].

وقد اتفق يوهانس جانسن مع ما ذهب إليه خلف الله وانتهى إلى أنه "عندما يتحدث القرآن عن الأنبياء الذين جاؤوا قبل الرسول محمد، فإن قصصهم كما جاءت فى القرآن تهدف فى المقام الأول إلى الإشارة بشكل دائم إلى محمد عليه السلام، وما سيحدث معه، ولا تهدف إلى ذكر الأنبياء السابقين إلا فى أضيق الحدود.

فعلى سبيل المثال عندما يخبرنا القرآن كيف كان الناس (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) عندما كانوا يستمعون إلى رسول الله نوح يدعوهم إلى الله تعالى، فإن العرب الذين استمعوا لقصة نوح كما وردت فى القرآن أول مرة سيفكرون كيف استخف بمحمد من قبل قومه أهل مكة .[سورة نوح : 5–7] . وعندما يسمع هؤلاء الناس الدعاء الذى دعاه نوح على قومه والذى ورد فى السورة نفسها

[1] ـ تفسير القرآن فى مصر الحديثة : يوهانس جانسن ، ترجمة وتعليق حازم زكريا محيى الدين ، مؤمنون بلا حدود، المغرب، ط1، 2017م، ص 52
[2] ـ الفن القصصى فى القرآن : د . محمد أحمد خلف الله ، مرجع سابق ، ص 275
[3] ـ السابق ص 277
[4] ـ السابق ص129

(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)[1] فإنهم سيدركون دون شك أن والدى محمد قد ماتا وثنيين قبل ظهور الإسلام"2.

وقد قدم الدكتور سيد القمنى سياقات دراسة تنميطية عن قصة طالوت التى وردت فى قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[3]

وقد رأى القمنى أن الآيات استدعت " واقع مكة لتلحقه بالتاريخ الإسرائيلى فى المثال المضروب، ترحل بالتساؤل المكى القرشى من رجال الملأ، ليصبح تساؤلا من بنى إسرائيل لصموئيل (أنى يكون له الملك علينا ؟)، وهو التساؤل الاستنكارى الذى يحمل معانى جديدة، ومواصفات جديدة، يجب أن يتصف بها السيد الزعيم، وهى المعانى والصفات التى حملتها رياح التغيير الاقتصادى إلى مكة مع الثراء الفاحش الذى أصاب البعض دون الآخر، وبدأ يفعل فعله فى تفجير الأطر القبلية القديمة، ولم تعد مواصفات الزعيم كما كانت فى الماضى العشائرى، من حكمة تؤهله كى تكون رأسا للقبيلة، أو حنكة أو شجاعة، أحيانا حسب ظروف القبيلة إن سلما أو حربا، بل تولى الأمر بعد تشكل الطبقة الأرستقراطية المتميزة، وتغير المعيار، وتبدل أساليب القياس، وهو ما عبر عنه استطراد الآيات (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه) وهى الأحقية التى يأتى معيارها القياسى واضحا فى الإلحاق التوضيحى (ولم يؤت سعة من المال)"4

ولقد أوضحت الآيات أن الله عز وجل هو الذى يؤتى ملكه من يشاء (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[5] ، وهو الرد نفسه الذى تكرر فى غير موضع من القرآن الكريم .عندما كان تثار الاعتراضات على استحقاق محمد ﷺ للنبوة كما فى قوله تعالى (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [6]

ويرى سيد القمنى فى قوله تعالى (قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) تماثلا مع لسان حال المهاجرين الذين اضطرهم أهل مكة لترك ديارهم وأبنائهم، بل "إن

---

1 - نوح : 26-28
2 - تفسير القرآن فى مصر الحديثة : يوهانس جانسن، مرجع سابق، ص 53
3 - البقرة : 246
4 - حروب دولة الرسول : سيد القمنى ، مكتبة مدبولى ، ط2، 1416هـ /1996م ، 48/1
5 - البقرة:247
6 - الزخرف :31-32

التوراة لا تقول بخروج بنى إسرائيل من ديارهم وأبنائهم حينذاك بل كانوا – حسب روايتها – مهاجمين لا مدافعين، محتلين وغاصبين ، وهذه روايتها، وإثمها مردود عليها فى المخالفة، لكن ما نعلمه يقينا، أن الذين أخرجوا من ديارهم مهاجرين، وتركوا أبناءهم واللوعة من أهل مكة تعتمل فى نفوسهم هم المسلمون المهاجرون إلى يثرب، وبالطبع كان لابد أن تفعل تلك الآيات فى نفوسهم فعلها وأثرها"[1]

وفى الجملة يرى القمنى أن ما ذكرته الآيات عن طالوت وجالوت لا يتطابق مع أحداث بنى إسرائيل كما ذكرتها التوراة بقدر ما يتطابق مع ما حدث فى غزوة بدر ، فرواية التوراة تختلف مرة أخرى عن رواية القرآن الكريم "حيث كان ائتلاف القبائل الإسرائيلية فى مملكة واحدة تشكيلا هائلا وتجييشا لعدد ضخم من المقاتلين، ومن ثم يكون تطابق الآيات ليس مع التاريخ التوراتى كما ترويه التوراة ، لكن مع واقع المسلمين والمشركين، حيث المشركون هم الأكثرية، والمؤمنون هم الأقلية، لكن الحضور الإلهى إلى جانب الحق كان كفيلا بحسم الموقف، فالآيات تستطرد (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)[2] "[3].

وتعد دراسة حُسن عبود عن (السيدة مريم فى القرآن الكريم)[4] من أكبر الدراسات التى استخدمت المنهج التنميطى (التيبولوجى) فى تفسير الآيات المتعلقة بمريم – عليها السلام – فى القرآن الكريم، وقد اعتمدت حسن عبود فى دراستها –كما ذكرت – على " الدراسات الرائدة التى قام بها الناقد الأدبى الكبير نورثروب فراى حول التابولوجيا (كذا) أى علم الأنواع والنماذج فى كتابيه الرائدين الكتاب المقدس والأدب ، و كلمات ذات قوة"[5].

كما اعتمدت حسن عبود كما ذكرت على "دراسة كارل ج يونغ عن الطرازات البدئية (الأرخيتايب) (كذا) وهى أنساق عميقة لا واعية لدى الإنسان، وتحليله لطراز الأم (أرخيتايب الأم) لها صلة وثيقة بالموضوع الذى يتعلق بالأمومى على مستوى باطن النص"[6] .

كذلك تشير حسن عبود إلى ما لدراسة خلف الله عن الفن القصصى فى القرآن لا سيما ما يتعلق بالجانب الأسطورى منها[7].

---

1 - حروب دولة الرسول 49/1
2 - البقرة : 249
3 - حروب دولة الرسول 1/ 49
4 - السيدة مريم فى القرآن الكريم قراءة أدبية : حسن عبود ، دار الساقى ، بيروت ، ط1 ، 2010م، والكتاب فى الأصل أطروحة دكتوراه بالإنجليزية قامت الباحثة بترجمتها إلى العربية
5 - السابق ص 25 وقد قدمت حسن عبود كذلك الشكر لفراى فى ص 7
6 - السابق ص 25
7 - السابق ص 26

اعتمدت حسن عبود على الدراسات التيبولوجية السابقة وغيرها لتصل فى النهاية إلى أن " القرآن فى أحد استخداماته وتوظيفاته لمعاناة مريم مع بنى قومها يقيس فى ذلك وضع النبى محمد صلى الله عليه وسلم على وضعها ، ويخرج من ذلك إلى أن النبى محمدا سيخرج بتوفيق الله كما خرجت مريم طاهرة الذيل قدسية، فالحضور المريمى فى أحد وجوهه هو حضور محمدى"[1].

بعد أن فرغنا من عرض أبرز الدراسات التى استخدمت منهج التنميط فى الدراسات القرآنية ننتقل لتقييم المنهج وأبرز النتائج التى توصل إليها فى تطبيقاته على القرآن الكريم.

[1] - السابق ص 15 ، 16

(3)

من خلال ما تم عرضه نستطيع أن نذكر بعض الملاحظات النقدية حول منهج التنميط (التيبولوجى) وتطبيقاته فى دراسة القرآن الكريم.

وهى ثلاث ملاحظات الأولى تتعلق بمنطلقات المنهج

والثانية تتعلق بإجراءات المنهج

والثالثة تتعلق بنتائج المنهج

الملاحظة الأولى حول منطلقات المنهج :

انطلق المنهج التيبولوجى فى دراسات الكتاب المقدس من قاعدة فى فهم الوحى الكتابى تختلف اختلافا جذريا عن مفهوم الوحى فى الإسلام، فبالرغم من أن الكتاب المقدس – فى الدراسات الكتابية – هو كلمة الله، فإنه – بحسب المنظور الكتابى للوحى – قد تم تدوينه بتعبير خاص صدر عن كتابه المختلفين، وتتمثل فى صياغته اللغوية كل ما تشتمل عليه لغات كتابه من سمات خاصة بهم، لهذا فإذا جاز لنا التسليم بتطبيق نظرية النماذج البدئية عند يونج ، أو النظام اللغوى عند فراى باعتبار أن لغة الكتاب المقدس هى لغة بشرية يمكن التعامل معها من خلال تلك الإجراءات، نقول إذا جاز التسليم بذلك فى تفسير الكتاب المقدس فإنه لا يمكن بحال من الأحوال التسليم به فى تفسير القرآن الكريم، ذلك لأن مفهوم الوحى فى الدراسات القرآنية يجعل من اللغة القرآنية لغة موحى بها بنصها وليست من عند الرسول أو من الكتبة أو من أى عنصر بشرى آخر، لذلك فلا يستقيم القول بالنماذج البدئية ولا النظام اللغوى كما ذهب إليه فراى فى التعامل مع لغة القرآن الكريم. كما لا يستقيم الحديث عن حضور "قصة مريم فى الوعى القرآنى"[1].

الملاحظة الثانية حول إجراءات المنهج :

التكلف الشديد فى الربط بين ما يسمى أنماطا أو طرزا أو نماذج وما فيه من عدم منهجية واضحة فى الربط بين الأنماط ، ويمكننا أن نمثل لذلك بقول حسن عبود فى دراستها عن مريم عليها السلام : " هى الرابط الكبير الذى يربط المسيحية بالإسلام لكونها حملت (الكلمة) كما حمل النبى محمد ﷺ (القرآن)" !! .

سعت حسن عبود لإقامة علاقة تنميطية بين مريم – عليها السلام – ومحمد – ﷺ – لكن إجراءات هذا التنميط يشوبها خلل واضح نبع من خلط المجاز بالحقيقة وعدم إقامة حدود فاصلة

---

[1] ـ السيدة مريم فى القرآن الكريم، ص15

بينهما. حيث استخدمت – أولا – كلمة (حمل) التى هى حقيقة فى حق مريم بطريقة ترادفية مع كلمة (حمل) التى هى مجاز فى حق محمد ، ثم أعادت هذا الخلط بين الحقيقة والمجاز – ثانيا– لتجعل المسيح والقرآن يتساويان من حيث كونهما كلمة الله، دون أدنى تفرقة بين الطبيعة المجازية لكون المسيح عليه السلام كلمة الله بالمعنى المجازى، أى مسببا عن كلمة الله أو الأمر الإلهى بخلقه دون أب، بينما القرآن كلمة الله بالمعنى الحقيقى .

ونذكر مثالا آخر على هذا الخلل الإجرائى والتكلف الواضح فى الربط بين الأنماط من خلال دراسة ميشيل كويبرس M. Cuypers عن سورة المائدة حيث اكتشف كما يذكر " نموذجا لهذه التيبولوجيا بين موسى وهو يقود قومه إلى الأرض المقدسة وبين محمد المسئول عن حج المسلمين إلى البيت الحرام. وتشابه الأدوار هنا واضح عند قراءة نص القرآن، ولكن عندما مضينا قدما فى المقارنة التناصية وجدنا الرسالة إلى العبرانيين التى تقدم عيسى قائدا شعب الله الجديد إلى راحة الخلاص. فبالتالى يبدو محمد فى القرآن على أنه إتمام للشخصين موسى وعيسى مؤسسى الديانتين المنافستين السابقتين للإسلام . وفى بعض النصوص الأخرى يرى شخص عيسى من خلف شخص محمد: فكما يرمز مسبقا شخص هابيل إلى شخص عيسى المعذب، كذلك يرمز إلى محمد كل من عيسى وهابيل، اثنين من المعذبين الأبرياء. وخلف محمد جالب النور لأولئك القابعين فى الظلام نستشف ملامح المسيح الذى ينبئ به نشيد زكريا وفى النهاية فإن إعطاء عيسى حوارييه المائدة النازلة من السماء يشير إلى تسليم محمد كلام الله المنزل من السماء . وفى السورة بعض الحقائق المقدسة الأخرى التى يمكن قراءتها على هذا النحو: حيث ترمز الأرض المقدسة إلى البيت الحرام كما قلنا فى ما سبق ، وكذا فإن عيد الفصح المسيحى (الذى كان يرمز إليه أساسا عيد الفصح اليهودى) يمثل إشارة إلى الحج السنوى عند المسلمين، وترمز أيضا منحة المائدة إلى كلام الله المتمثل فى القرآن، ويمثل عصاة قوم موسى اليهود الذين رفضوا أن يدخلوا الإسلام، ونرى ملامح قابيل خلف المتآمرين على محمد.

وبالطبع فإن الإشارات الرمزية هذه ليست تطابقا ولكنها تماثل يتضمن كلا من أوجه الشبه وأوجه الاختلاف فهى ليست اعتباطية : حيث إن التوافق بين المفردات والبنى ينبه لما بين الرموز من تناغم على الأقل عند من لديهم القدرة على قراءة النص مع الإصغاء إلى كل أشكال التناغم الصادرة عنه"[1].

ومن العسير جدا على من يقرأ هذا النموذج التيبولوجى الذى قدمه كويبرس أن يجد علاقة واضحة تقوم على أسس ثابتة بين هذه العناصر المتباعدة وإن كانت لا تخلو من بعض جوانب التشابه فيما بينها.

[1] - **فى نظم سورة المائدة : ميشيل كويبرس، ترجمة عمرو عبد العاطى صالح ، دار المشرق ، بيروت ، ط1، 2016م، ص 483**

المـلاحظـة الثالثـة حـول نتائج المنهج :

انتهى المنهج التنميطى إلى ضرورة القول بعدم الصدق التاريخى فى الكتاب المقدس، وانتهى إلى النتيجة ذاتها فيما يتعلق بالقرآن الكريم كما رأينا عند خلف الله وغيره ، ولا نريد أن نناقش الصحة التاريخية للكتاب المقدس لأنه يخرج عن نطاق البحث، لكن نتوقف عند ما ذهب إليه أصحاب المنهج التيبولوجى من القول بانتفاء الصحة التاريخية للقرآن الكريم، فقد تبنى خلف الله القول بأن القرآن لا يحرص على الالتزام بالحقيقة التاريخية لأن الأساس فى قصصه أنها من قبيل الفن الذى يطالب بذكر حقائق التاريخ. وعلى هذا فالقيمة التاريخية " ليست مما حماه القرآن الكريم ما دام لم يقصده"[1].

وقد حاول خلف الله أن يدعم رأيه بكل دليل ، وكان من تلك الأدلة التى ارتآها مدعمة لمخالفة القرآن للحقائق التاريخية قوله تعالى (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)[2] إذ بان – على حد قوله – " للعقل الإسلامى أن ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا كانت الأوثان التى تعبد فى الجزيرة العربية زمن البعثة المحمدية، وقبلها بقليل أو كثير، وعجز العقل الإسلامى عن أن يفهم الصلة بين هذه الأوثان وبين نوح عليه السلام حتى تجىء فى قصته، ولذا عد هذه المسألة من المشكلات."[3]

ثم نقل خلف الله كلاما للرازى فى الآية يؤيد به ما ذهب إليه.

وإذا كنا نوافق خلف الله فى القول بأن القصة القرآنية لا تهدف إلى التأريخ فى حد ذاته فإننا لا نوافقه من القول بمخالفة القرآن للتاريخ بل نؤكد على أن كل ما جاء فى القرآن جاء موافقا للحقائق التاريخية ولا يختلف معها فى شىء .

وقد تولى الرد على ما طرحه خلف الله فى هذه النقطة كثير من الدراسات التى صدرت عقب صدور دراسة خلف الله عام 1947م وحتى يومنا هذا[4]. ولا نريد أن نكرر هنا الأدلة التى قيلت فى الرد على قضية الصدق التاريخى للقرآن ولكن نقدم طرحا جديدا لمناقشة تلك القضية بصفة خاصة وما يستتبع ذلك من مناقشة منهج التنميط بصفة عامة، ويتمثل هذا الطرح الجديد فيما يمكن تسميته (السياقات المتشابهة).

---

[1] - السابق ص 44

2 - نوح :23

[3] - الفن القصصى فى القرآن : مرجع سابق ص 35-36

[4] - انظر على سبيل المثال : القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتى آدم ويوسف: عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربى ، ط1 ، د.ت

لما كان القرآن الكريم قد نزل من أجل الواقع وأحداثه، وليس من أجل التاريخ أو التفنن الأدبى كان القصص القرآنى عبرة وموعظة ومثلا. كما يشير إليه قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[1] وقوله تعالى (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)[2] ، وقوله تعالى (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[3] .

لقد ذهب جمهور المفسرين إلى تناول القصة القرآنية بصورة مستقلة منشغلين بتفاصيلها عن علاقتها بالواقع الذى نزلت فيها وكما يقول الرازى " الحكايات أكثرها إنما تكون لمقاصد لكنها تنسى لطيب الحكاية ولهذا كثيرا ما يقول الحاكى لأى شىء حكيت هذه الحكاية"[4]، وانحصرت العبر والمثل والموعظة والذكرى عند بعض المفسرين فى القيم العامة التى اشتملت عليها القصة كالدعوة إلى الله، وتكذيب الكافرين، وعاقبة هذا التكذيب، ونحو ذلك من الملامح العامة التى تمثل ركائز عامة وثابتة فى تاريخ الرسل وأممهم، وما فى ذلك من عظات تتعلق بقضايا الإيمان والكفر بصفة عامة.

لكن قلما توقف المفسرون أمام العلاقة بين القصة القرآنية وواقع الأحداث التى نزلت فيه، بالرغم من أنه يكاد يكون من البديهيات أن القرآن كله – بما فيه من قصص – لابد أن يكون ذا صلة وثيقة بالواقع الذى نزل فيه، وعلى ذلك فلم يكن ذكر القصة القرآنية بغرض التأريخ للأمم السابقة أو لملء أوقات الفراغ أو نحو ذلك، وإنما ذكرت لهدف رئيس هو التعبير عن الواقع الذى نزلت فيه، ومعالجة أحداثه ووقائعه . إن كل ما أورده القرآن الكريم من قصص هو حقائق لا شك فيها، لكن هذا الصدق التاريخى للقصص القرآنى لا يعنى فى الوقت نفسه أن القرآن قد أورد تلك القصص بهدف التأريخ للسابقين . وإنما جاءت القصة القرآنية سياقا يحاكى الواقع الذى يعيشه المجتمع وقت نزول القرآن الكريم ، وهذا ما يفسر لنا تجاهل قصص القرآن لكثير من التفاصيل مما ليس له ارتباط بالواقع ، وذكر القرآن لأجزاء بعينها من القصة فى موضع وذكر أجزاء أخرى من القصة ذاتها فى موضع آخر وذلك بحسب مناسبة ورود القصة للأحداث والوقائع التى كان يعيشها المجتمع وقت نزول القرآن.

من هنا نقسم السياقات المتشابهة إلى ثلاثة أقسام

---

1 - يوسف : 111
2 - النور : 34
3 - هود : 120
4 - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : فخر الدين الرازى ، تحقيق عماد زكى البارودى ، المكتبة التوفيقية ، 40/25

الأول : سياق القصة التى يوردها القرآن الكريم ونسميه (السياق الأصلى)
الثانى : سياق واقع عصر نزول القرآن الكريم ونسميه (السياق الواقعى)
الثالث : هو السياق الممتد فى الزمان والمكان بعد انقضاء عصر النزول ونطلق عليه (السياق الممتد). لكن هذا السياق سياق معيش وليس سياقا لغويا وإن كان يتشابه مع السياق اللغوى، بحيث نستطيع القول إن السياق الأصلى والسياق الواقعى يعبران فى كثير من الأحيان عن السياق الممتد.
ونلاحظ أن السياق الأصلى والسياق الواقعى يردان فى القرآن الكريم بأسلوبين مختلفين
الأسلوب الأول : التوازى ، حيث نجد أن موضع السياق الأصلى يرد فى القرآن الكريم بعيدا عن موضع السياق الواقعى المشابه له.
الأسلوب الثانى : التداخل، حيث يتداخل السياقان ، ويلتقيان فى بعض النقاط.
على ضوء ما تقدم لا نرى أن الإشكال الذى طرحه خلف الله واستشهد عليه بكلام الرازى يفضى بالضرورة إلى مخالفة القرآن للتاريخ، إذ يمكن أن نرى فى الآية تداخلا سياقيا بين السياق الأصلى المتمثل فى قوم نوح عليه السلام ، والسياق المشابه المتمثل فى العرب وقت البعثة المحمدية، مما يعنى أنه ليس بالضرورة أن ينفى أحد النموذجين الآخر، فلا يتحتم القول إن هذه الأصنام إما أن تكون على عهد نوح عليه السلام وإما أن تكون على عهد محمد ﷺ، بل يمكن القول إن قصة نوح عليه السلام مع قومه تداخلت مع سياق قصة محمد مع قومه، وقد التقى السياقان حول تلك الأصنام التى كانت معبودات لقوم نوح ومعبودات للعرب كذلك، وحتى لو كان من المستبعد أن تكون تلك الأصنام هى بأسمائها ما عبد على عهد نوح فإن ذلك – فى ضوء تداخل السياقات المتشابهة – لا يعد مخالفة تاريخية.
وقريب من هذا الإشكال ما يذكر فى قوله تعالى (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)[1] فالدراهم كانت مستعملة عند العرب وقت ظهور الإسلام فهل كانت مستعملة فى عصر يوسف عليه السلام؟ قد يجد البعض فى هذا إشكالا تاريخيا لاسيما أن سورة يوسف نفسها قد ذكرت فى قوله تعالى (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)[2] أن النظام المتبع فى هذا العصر هو المقايضة، لكن على ضوء فكرة (تداخل السياقات المتشابهة) يمكن أن نفهم هذه الجملة الاعتراضية (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) كقرينة على تداخل السياقات بين السياق الأصلى المتمثل فى يوسف عليه السلام والسياق الواقعى المتمثل فى محمد ﷺ ، فإخوة يوسف الذين باعوه يشبهون قوم محمد الذين صدوا عنه وآذوه . وكما أظهر الله عز وجل يوسف عليه السلام على إخوته، أظهر الله

[1] - يوسف :20
[2] - يوسف : 88

عز وجل محمد ﷺ على قومه، وكما رد يوسف عليه السلام إلى أبيه ، رد محمدا ﷺ إلى مكة يوم الفتح ، وكما عفا يوسف عليه السلام عن إخوته قائلا (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[1] ، عفا محمد ﷺ عن قومه يوم الفتح فقال كما جاء فى السيرة "يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: (لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ) اذهبوا فأنتم الطلقاء"[2].

والقرآن الكريم يعتمد على (تداخل السياقات المتشابهة) حتى فى غير القصص، فالقرآن يستحث المسلمين فى المدينة على القتال فى غزوة تبوك فيذكر فى معرض ذلك هجرة الرسول من مكة، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[3] [التوبة 38– 41] .

وفى أثناء ذكر غزوة أحد أو الخندق – على خلاف بين المفسرين – يذكر القرآن بعض أحداث غزوة بدر، قال تعالى (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)[4] .

وإذا كان التداخل فى السياقات ظاهرة واقعة فى غير القصص، فوقوعها فى القصص ألزم لأن القصة لا تأتى فى القرآن إلا لارتباطها بأحداث الواقع وقضاياه.

إن التشابه بين سياق قصة نوح عليه السلام وقومه والسياق الموازى المتمثل فى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقومه يظهر فى قوله تعالى فى سورة هود (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ

1 - يوسف :92
2 - الرحيق المختوم : صفى الرحمن المباركفورى ، دار الوفاء ، 1425هـ / 2004م ، ص 348
3 - التوبة : 38- 41
4 - آل عمران: 121-128

مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[1] وتكاد قصة نوح عليه السلام تتماثل فى معظم تفاصيلها مع ما هو معروف من أحداث السيرة النبوية لاسيما فى العصر المكى من إعراض الملأ أصحاب المال والسيادة عن دعوة محمد ﷺ، واستنكارهم أن يدخلوا فيما دخل فيه المستضعفون فى مكة، وقد بلغ هذا التشابه بين السياقين ذروته فى قوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ)[2] حيث تداخل السياق الأصلى مع السياق الواقعى بحيث جاءت الآية الكريمة فى سياق قصة نوح عليه السلام فى الوقت التى تعبر فيه عن جزء من السياق المشابه ، سياق المجتمع المكى.

يقول السعدى " (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) هذا الضمير محتمل أن يعود إلى نوح، كما كان السياق في قصته مع قومه، وأن المعنى: أن قومه يقولون: افترى على الله كذبا، وكذب بالوحي الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول(قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) أي : كل عليه وزره (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)، ويحتمل أن يكون عائدا إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتكون هذه الآية معترضة، في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء، فلما شرع الله في قصها على رسوله، وكانت من جملة الآيات الدالة على صدقه ورسالته، ذكر تكذيب قومه له مع البيان التام فقال (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أي: هذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه، أي : فهذا من أعجب الأقوال وأبطلها، فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب، ولم يرحل عنهم لدراسة على أهل الكتاب، فجاء بهذا الكتاب الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله. فإذا زعموا – مع هذا – أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في حجاجهم، بل اللائق في هذه الحال، الإعراض عنهم، ولهذا قال (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي) أي: ذنبي وكذبي،(وَأَنَا

1 - هود : 25- 36
2 - هود : 25

بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) أي: فلم تستلجون في تكذيبي."[1]

والوقوف على هذا التداخل السياقى بين قصة نوح عليه السلام وقصة محمد ﷺ يجعل لكل من الشخصيتين وجودا وتاريخا حقيقيا خلافا لما يذهب إليه أصحاب منهج التنميط ، ولا يتعارض هذ مع القول بأن شخصية نوح عليه السلام فى القرآن تحيل إلى شخصية محمد ﷺ على النحو الذى ذكره يوهانس جانسن كما مر.

إن هذا التداخل بين السياق الأصلى والسياق المشابه يتكرر فى مواضع أخرى من القرآن الكريم كقوله تعالى (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[2] ، فقوله تعالى (وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) جاء فى سياق قصة إبراهيم عليه السلام وخطابه لقومه وتكذيبهم له، وهو تصوير للحال التى كان عليها محمد ﷺ مع قومه، لذلك نستطيع القول إن الآيات جمعت بين سياق قصة إبراهيم عليه السلام وسياق دعوة محمد ﷺ قومه، يقول الزمخشرى " وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم صلوات الله عليه لقومه، وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله ﷺ وشأن قريش بين أوّل قصة إبراهيم وآخرها، فإن قلت: إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد بالأمم قبله؟ قلت: قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم، وكفى بقوم نوح أمّة في معنى أمم جمة مكذبة، ولقد عاش إدريس ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء. وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنيه، وأعقابهم على التكذيب. فإن قلت: فما تصنع بقوله (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ) ؟ قلت : هي حكاية كلام حكاه إبراهيم عليه

[1] - تفسير السعدى : عبد الرحمن ناصر السعدى ، تحقيق السيد بن أحمد سيف، مكتبة الإيمان ، ص 385
2 - العنكبوت: 16-24

السلام لقومه، كما يحكى رسولنا ﷺ كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن فإن قلت : فإذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطهما بين طرفى قصة إبراهيم والجملة ؟ أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه؟ ألا تراك لا تقول: مكة– وزيد أبوه قائم– خير بلاد الله؟ قلت : إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله ﷺ، وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأنّ أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوّا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان، فاعترض بقوله : (وإن تكذبوا)على معنى إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها، لأن قوله (فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) لا بد من تناوله لأمّة إبراهيم، وهو كما ترى اعتراض واقع متصل، ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها، لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله، وهدم الشرك وتوهين قواعده، وصفة قدرة الله وسلطانه، ووضوح حجته وبرهانه."[1]

ويتفق الرازى مع الزمخشرى فى أن الآيات يجوز حملها على قوم إبراهيم عليه السلام ، كما يجوز أن تحمل على قوم محمد ﷺ، يقول الرازى " لما فرغ من بيان التوحيد أتى بعده بالتهديد فقال (وإن تكذبوا). وفي المخاطب في هذه الآية وجهان : أحدهما: أنه قوم إبراهيم والآية حكاية عن قوم إبراهيم كأن إبراهيم قال لقومه (إن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) وأنا أتيت بما علي من التبليغ فإن الرسول ليس عليه إلا البلاغ والبيان، والثاني: أنه خطاب مع قوم محمد عليه السلام. ووجهه أن الحكايات أكثرها إنما تكون لمقاصد لكنها تنسى لطيب الحكاية ولهذا كثيرا ما يقول الحاكي لأي شيء حكيت هذه الحكاية فالنبي عليه السلام كان مقصوده تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من التكذيب ويرتدعوا خوفا من التعذيب، فقال في أثناء حكايتهم يا قوم إن تكذبوا فقد كذب قبلكم أقوام وأهلكوا فإن كذبتم أخاف عليكم ما جاء على غيركم"[2].

إن ما ذهب إليه الزمخشرى والرازى والسعدى يؤكد على فكرة تداخل السياقات المتشابهة فى القصة القرآنية .

وإننا لنجد كذلك فى قصة طالوت المذكورة فى قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[3] تشابها مع ذلك السياق الواقعى المشابه المذكور فى قوله تعالى (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا

[1] ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : جار الله الزمخشرى ، دار الفكر ، بيروت ، 1429هـ / 2008م ، 201/3

[2] ـ مفاتيح الغيب : الرازى 40/25

[3] ـ البقرة : 246

الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) [1]وهكذا فإن الوقوف على السياقات المتشابهة يجنبنا الوقوع فى النتائج التى انتهى إليها سيد القمنى عند عرضه لقصة طالوت اعتمادا على منهج التنميط.

[1] - محمد :20-23

الخاتمة ونتائج البحث

القرآن الكريم حمال ذو وجوه، ومن ثم كانت الحاجة إلى المناهج المتنوعة لدراسته، غير أن بعض تلك المناهج لا يتلاءم مع خصوصية القرآن الكريم، وقد حاول البحث الوقوف على منهج التنميط بوصفه أحد المناهج المتبعة حديثا فى دراسة القرآن الكريم، وقد خلص البحث إلى النتائج التالية:

أولا : يعد منهج التنميط – وإن كان ذا جذور تاريخية قديمة فى الفكر الغربى – أحد المناهج المتبعة حديثا فى دراسة القرآن الكريم ، وقد تتبع البحث نشأة المنهج وتطوره وتطبيقات هذا المنهج فى الدراسات القرآنية الحديثة المختلفة، ويثير البحث بذلك السؤال عن جدوى استيراد بعض المناهج الغربية الحديثة لدراسة القرآن الكريم.

ثانيا : رصد البحث الخلل فى تطبيق منهج التنميط فى دراسة القرآن الكريم، وقد تمثل هذا الخلل فى ثلاثة محاور يتعلق الأول منها بمنطلقات المنهج الذى يقوم على دعوى بشرية القرآن الكريم ، ويتعلق الثانى بإجراءات المنهج المتمثل فى التكلف الشديد فى إقامة علاقات تنميطية ، ويتعلق الخلل الثالث بالنتيجة التى أفضى إليها المنهج وهى القول بعدم الصدق التاريخى للقرآن الكريم.

ثالثا : اقترح البحث الاعتماد على فكرة (السياقات المتشابهة) لتوافقها مع طبيعة الوحى القرآنى إذ إن السياقات المتشابهة تتلاءم مع المصدر الإلهى للقرآن خلافا لفكرة النماذج البدئية عند يونج، أو الأنماط عند فراى، أو الموتيفات عند حسن عبود، التى يجعل منهج التنميط مصدرها العنصر البشرى .

من جهة أخرى فإن فكرة (السياقات المتشابهة) سيجنبنا التكلف فى إنشاء العلاقات بين ما يطلقون عليه أنماطا أو طرزا أو نماذج، فبالرغم من وجود تشابه بين كثير من أحداث القرآن الكريم وشخصياته فإن ذلك ليس مرجعه لكونها طرزا متماثلة، بل مرجعه لاتحاد الغاية والمقصد الذى يهدف إليه العرض القرآنى لتلك الأحداث والشخصيات من خلال السياقات المتشابهة التى فيها من عناصر التشابه بالقدر الذى فيها من عناصر الاختلاف.

كذلك فإن فكرة (السياقات المتشابهة) تفسر إثبات الوجود التاريخى للشخصيات والأحداث، خلافا لمنهج التنميط، وإذا جاز لنا أن نقول إن شخصية ما أو حدثا ما فى القرآن الكريم يمثل شخصية محمد ﷺ وقومه أو بعض أحداث عصره، فإن هذا لا يعنى القول بأن هذه الشخصية هى شخصية محمد ﷺ نفسها، ومن ثم محو الجانب التاريخى الواقعى لتلك الشخصيات الأخرى كما يقول بذلك أصحاب منهج التنميط، بل تظل من خلال (السياقات المتشابهة) لكل شخصية خصوصيتها، وتاريخها الحقيقى، ووجودها المستقل.

المصادر والمراجع

– تفسير السعدى : عبد الرحمن ناصر السعدى، تحقيق السيد بن أحمد سيف، مكتبة الإيمان.

– تفسير القرآن فى مصر الحديثة : يوهانس جانسن، ترجمة وتعليق حازم زكريا محيى الدين، مؤمنون بلا حدود، المغرب، ط1، 2017م.

– التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : فخر الدين الرازى، تحقيق عماد زكى البارودى، المكتبة التوفيقية .

– تفسير الكتاب المقدس عند الآباء : د. جورج عوض إبراهيم، جى سى سنتر، القاهرة ، ط1، 2012م .

– تفسير الكتاب المقدس فى أبعاده المتعددة :غرانت ر. أوزبورن ، ترجمة نزيه خاطر ، دار منهل الحياة، لبنان، ط1، 2104م .

– تيبولوجيا القرآن من خلال جواهر القرآن للغزالى : محمد بو هلال، بحث ألقى فى ملتقى الدراسات القرآنية المناهج والسياقات والرهانات، المنعقد فى المجمع التونسى للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) فى الفترة من 4إلى 6 يوليه 2107م .

– جواهر القرآن ودرره : محمد بن محمد الغزالى ،تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ، دار الجيل ، بيروت ، ط6، 1408هـ / 1988م .

– حروب دولة الرسول : سيد القمنى ، مكتبة مدبولى ، ط2، 1416هـ /1996م.

– الدين فى ضوء علم النفس : كارل جوستاف يونج ، ترجمة وتقديم ، نهاد خياطة ، دار العلم، مكتب الفيحاء ، دمشق ، ط1 ، 1988م.

– الرحيق المختوم : صفى الرحمن المباركفورى ، دار الوفاء ، 1425هـ / 2004م .

– السيدة مريم فى القرآن الكريم قراءة أدبية : حسن عبود، دار الساقى، بيروت، ط1، 2010م

– الفن القصصى فى القرآن : د . محمد أحمد خلف الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2، 1957.

– فى نظم سورة المائدة : ميشيل كويبرس، ترجمة عمرو عبد العاطى صالح ، دار المشرق ، بيروت ، ط1، 2016م .

– القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتى آدم ويوسف : عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربى ، ط1 .

– الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط

– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : جار الله الزمخشرى ، دار الفكر، بيروت .

– المدونة الكبرى الكتاب المقدس والأدب : نورثروب فراى ، ترجمة سعيد الغانمى ،كلمة و منشورات الجمل ، أبو ظبى و بيروت، ط1، 2009م

– منهج التعرف على الإسلام : د. على شريعتى ، ترجمة عادل كاظم ، دار الأمير ، بيروت، ط1 ، 2006م .